التوافق الزواجي وفق نموذج جون بولبي
(John Bowlby1990-1907)

الدكتور: روبي محمد
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

ملخص:
يهدف البحث الحالي لمعرفة العوامل النفسية للتوافق الزواجي من خلال نموذج جون بولبي وذلك لمعرفة العوامل التي تؤدي إلى التوافق الزواجي بين الأزواج ،ومعرفة انعكاسات سلوك التعلق على التوافق الزواجي بين الأزواج.
الكلمات المفتاحية: التوافق الزواجي/نموذج جون بولبي

Abstract
The present research aims to know the Psychological factors for matrimonial adjustment in accordance with the model of John Bowlby in order to know the factors which lead to the adjustment between matrimonial couples and the knowledge of the implications of the behavior of attachment on matrimonial adjustment between couples.
Keywords: Adjustment matrimonial/ Model John Bowlby

1. مقدمة البحث:

يشير الإسلام في عدة نصوص إلى أهمية الزواج حيث قال تعالى:«...ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة.. »**(1)** ومن هذا المنطلق يعد الزواج واحد من المراحل الأساسية الانتقالية في حياة الفرد وهو عبارة عن علاقة اجتماعية مستمرة ودائمة بين زوج وزوجة يختلف كل منها على الآخر في خصائص شخصيته وظروفه الاقتصادية والاجتماعية وأساليب تنشئته.

والحياة الزوجية لا تسير على وتيرة واحدة بل تشهد العديد من التغيرات والتحولات التي تطرأ على العلاقات الزواجية القائمة فيها، فتارة تكون الحياة الزوجية هادئة ومستقرة وتارة ثائرة ومتغيرة ويتغير تبعا لذلك أنماط التفاعل الزواجي، ومن هنا كان الزواج مهمة صعبة على الزوجين فقد يكون عرضة للخلافات التي تعصف به، وإذا تمكن الزوجين في بداية الحياة الزوجية من مواجهة مشكلاتهم وتذليلها وإيجاد الحلول الملائمة لها فإن فرص استمرار الحياة الزوجية تتزايد.**(2)**

ومما لا شك فيه أن ظهور العديد من المشكلات الزوجية وتنوعها يجعلها تنعكس سلبا على مستوى التوافق بين الزوجين مما يحتم الأمر إلى الحاجة الماسة للإرشاد الزواجي بهدف التغلب على المشكلات الزوجية وإيجاد أنسب الحلول لها.

وهذا قد يتم من خلال تدعيم العلاقات السوية والتواصل في الفكر والوجدان بين الزوجينوكذلك أيضا تقديم الخدمات الإرشادية للزوجين، وتحقيق مستوى أفضل من التوافق الزواجي والسعادة الزوجية.

ولتحقيق عملية التوافق الزواجي، لابد أن يبحث المرشد النفسي والمختص العيادي عن المسببات النفسية التي تعيق سيرورة التوافق الزواجي لدى الأزواج، ولعل من بين المحتويات الكامنة وراء حسن التوافق الزواجي أوسوء التوافق نجد أساليب التنشئة الاجتماعية التي شكلت كل من شخصية الزوج والزوجة.

2. مشكلة البحث:

تعد عملية التوافق عملية نفسية ضمن حلقة النظام الاجتماعي، والتوافق الزواجي جزء لا يتجزأ من حلقة المنظومة الاجتماعية، فمن الناحية النفسية تلعب سمات الشخصية وكيف دورًا في العلاقات الزواجية في استقرارها أو عدمها. وفي هذا السياق حرصت بعض الدراسات على ضرورة الاهتمام بشخصية الزوج والعوامل الخاصة به لأن تعامله مع زوجته يؤثر بشكل كبير على توافقهما الزواجي(3)

وتذهب المدرسة التحليلية إلى تفسر كيف كان هذا الزوج في مراحل طفولته وتبين ارتباطاته الاجتماعية، بحيث ينعكس نمط التعلق لدى الطفل على التوافق الزواجي.

وفي هذا السياق ذكرت بلميهوب(4)أن العلاقات الأولى مع العائلة والأقران تؤثر في بناء الشخصية، والتوافق النفسي والاجتماعي والصحة العقلية، والتي كلها تؤثر على الزواج، إضافة إلى خبراتنا الأولى، قد تؤثر على توقعاتنا فيما يخص أدوار الزوج والزوجة.

ولذلك ذكر عبير محمد الصبان(5)أن أنماط التعلق لدى الأطفال ترتبط ارتباط موجباً بالعلاقة الايجابية مع الزوج والتوافق الزواجي، مشيراً إلى أهمية التوافق الزواجي كمردود نفسي يؤثر على شخصية الأبناء وصحتهم النفسية.

وفي هذا الصدد نجد أن سلوك التعلق الحميمي بين الأزواج من أحد العوامل المهمة وراء التوافق النفسي وما يرتبط به من رضا ومظاهر سلوكية ومعرفية وإجتماعية مختلفة(6).

ومما سبق ذكره تتلخص مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

- ماهي العوامل التي تحقق التوافق الزواجي بين الأزواج؟
- ماهي انعكاسات سلوك التعلق على التوافق الزواجي بين الأزواج؟

3.أهمية البحث:

إذا حاولنا تفسير كيف يؤثر الجانب النفسي في شخصية الفرد حاضرا ومستقبلا كان علينا أن نلجأ إلى التطورات النمائية الطولية للفرد، في شتى تطوراته العقلية والنفسية والاجتماعية، باعتبارها جميعها منبئات عن علاقة زوجية حسنة أو جيدة أو ممتازة، ومنه البحث الحالي يقدم تناول يجمع بين مراحل سابقة تعكس لنا التوافق الزواجي في مراحل لاحقة، وذلك أن البحث اهتم بتبيين السلوكات التوافقية وغير التوافقية عند الأزواج، باعتبار أن ظاهرة التعلق في مراحل الطفولة تنعكس عن العلاقة الزوجية وهي الأخرى ليست معزل عن هذا السلوك والذي يكون لديه ضلع إما بالسلب أو الإيجاب على التوافق الزواجي بخاصة والشخصية بعامة، كما تبدوا أهمية البحث أنه يؤسس لبرامج ارشادية وعلاجية لعلاج المشكلات الزواجية كخلفية نظرية تؤسس ذلك، كما تكمن أهمية البحث باعتباره موضوع شحيح سواء الدراسات المحلية أو الأجنبية وذلك في حدود-علم الباحث-.

4.أهداف البحث:

- محاولة الكشف عن العلاقة بين أسلوب التعلق والتماسك الأسري وسلوكيات الطفولة وأسلوب تكوين العلاقات الزواجية.
- معرفة العلاقة بين مستوى وتاريخ التعلق ومستوى التوافق الزواجي والقدرة على التوافق الزواجي والاهتمام بأصول ومبادئ تكوين الأسرة.
- الكشف عن دور أسلوب التعلق المتبادل في مستوى التوافق النفسي في حياة الكبار.
- معرفة أنماط التعلق وأثرها على نشوء أو عدم نشوء الصراع الزواجي .
- تبيين أنماط التعلق في مراحل الطفولة لديها وأثرها في حياة الفرد مستقبلا.
- محاولة تقديم وتشخيص سلوك التعلق للمرش والمعالج النفسي في بناء البرنامج العلاجي.

5.تحديد المفاهيم والمصطلحات:

أولا.التعريف بنموذج التعلق:

ولدت نظرية التعلق في أواخر الخمسينات وهي تجمع بين التحليل النفسي وعلم السلوك وتوسعت إلى وجهات نظرية أخرى، بما في ذلك التحكم الآلي والعلوم المعرفية .لا يظهر المرفق كخاصية للطفل أو الشخص الذي يعتني بل كنموذج التفاعل العاطفي والسلوكي.

على وجه التحديد، تفسر هذه النظرية المراهقة لنا بأنها فترة "حساسة"، للتعبير مع البيانات في نظرية التعلق .هذا هو في الواقع فترة الهوية وأزمة العلائقية، داخل الأسرة وبولبي وأتباعه شرح كيفية العلاقة المبكرة بين الطفل والشخص الذي يعتني تساهم إما إلى التنمية الاجتماعية والعاطفية متناغمة، أو نشوء السلوك المرضي.(7).

ثانيًا.تعريف التوافق الزواجي:

عرف روجرزRogersالتوافق الزواجي بأنه: نتاج للتفاعل بين شخصية يحدد نجاح الزواج أو فشلهويعد التفاعل بين الزوجين من أهم عوامل التوافق الزواجي.

وذكرت سوزان إسماعيل أن التوافق الزواجي يقصد به: القدرة على نمو شخصية الزوجين في إطار من الاحترام والتفاهم وتحمل المسؤولية والتفاعل مع الحياة(8)

ويرى كل من عبد المعطي وراوية الدسوقي أن التوافق الزواجي هو التوفيق في الاختيار المناسب للزواج والاستعداد للحياة الزوجية والدخول فيها، والحب المتبادل، وتحمل مسؤوليات الحياة الزوجية، والقدرة على حل مشكلاتها والاستقرار الزواجي والرضا والسعادة الزوجية، ويتوقف التوافق الزواجي على تصميم كلا الزوجين على مواجهة كل المشكلات المادية والاجتماعية والصحية والعمل على تحقيق الانسجام والمحبة المتبادلة(9)

ثالثًا.التعريف بمصطلح التعلق:

يعد التعلق من بين المصطلحات القليلة الاستعمال في الأدبيات السيكولوجية-(في حدود إطلاع الباحث)-وذلك يرجع إلى سبب مفاده أن نظرية التعلق، مازالت لم تأخذ حقها في البحوث النفسية، وهذا ما نلاحظه على مستوى عدة دراسات كانت من المفروض أن توظف هاته النظرية في تفسير مشكلة التكيف الاجتماعي عند الأطفال رياض الأطفال مثلا، وفي الجهة المقابلة من استعمله ليفسر جانب نفسي مهم وهو الحنين إلى الوطن باعتباره قلق انفصال وهذا الذي لمسناه في هاته الدراسات، مما يؤكد لنا أن مصطلح التعلق يعتبر جديد.

يعرف تشفرTchaver التعلق: : بأنه علاقة عاطفية حميمية بين شخصين تتصف بالعاطفة المتبادلة والرغبة في المحافظة على القرب بينهما.

وفي السياق نفسه ذكر فييفيFeeney: أنه من خلال الروابط التعلقية ببعض الأزواج إلى الاقتراب من بعضهم ويشعرون بالضيق وافتقاد الشريك في حالة غيابه، ويحصلون على الآمان العاطفي من خلال علاقاتهم بأزواجهم ويلجئون إليهم وقت الضيق(10)

ومما سبق نستنتج أن سلوك التعلق أشمل بكثير من الصداقة والحب، لأنه يقوم على بعد اجتماعي سيكولوجي متين، وهذا مايفسر شدة المحافظة على القرب بين المتعلق والمتعلق به، على درجة الشعور بالضيق في حالة غيابه، وهذا ما يجرنا إلى الحديث على أنماط التعلق.

3.أنماط التعلق:

-نمط التعلق الآمن:

يُظهر هذا النمط إلى أي درجة ينظر الفرد بشكل إيجابي إلى نفسه وإلى الآخرين، يقول على سبيل المثال:من السهل علي أن أكون علاقات حميمة مع الآخرين، أعرف أنني سأجد من يساعدني عندما أحتاج إلى مساعدة.

-نمط التعلق القَلق:

يُظهر هذا النمط إلى أي درجة ينظر الفرد بشكل سلبي إلى نفسه وبشكل إيجابي إلى الآخرين يقول مثلا: لدي انطباع أنني أحب الآخرين أكثر مما يحبونني، لا يقدرني أو يحترمني الآخرون تماماً كما أقدرهم أو أحترمهم.

-نمط التعلق التجنبي:

يُظهر هذا النمط إلى أي درجة ينظر الفرد بشكل إيجابي إلى نفسه وبشكل سلبي إلى الآخرين، يقول عن نفسه: من المهم بالنسبة لي أن أكون وحيدًا، فأنا لست بحاجة ماسة للآخرين **(11)**

ومما سبق نتوصل إلى حقيقة مفادها، أن أنماط التعلق تختلف عن بعضها البعض والتي تعتبر من بين المؤشرات على توافق الأزواج وانسجام العلاقة الزوجية وهذا مؤشر ايجابي، أو تفكك وصراع العلاقة الزوجية وهذا أيضا مؤشر سلبي، وقبل تناول كيف يؤثر التعلق على التوافق الزواجي، لا بد الإشارة إلى أهم العوامل التي تحقق التوافق الزواجي.

6.العوامل التي تحقق عملية التوافق الزواجي بين الأزواج:

يذكر عبد العظيم**(12)**: أربعة عوامل للتوافق الزواجي وهي:

1-تحقيق التوافق الجنسي ويعني ذلك الوصول في العلاقات الجنسية بين الزوجين إلى حالة من التوافق للطرفين، فالتوافق الجنسي عامل هام وضروري في تدعيم وتقوية التفاعل الزواجي في حين أن انعدام هذا التوافق يعتبر مؤشرا واضحا على بداية الخلافات الزوجية، فالإشباع الجنسي مهم في التوافق الجنسي ولكنه ليس العامل الوحيد في ذلك.

2-التواصل العاطفي والوجداني بين الزوجين ويلعب هذا العامل دورا هاما في مدى النجاح أو الفشل في الحياة الزوجية إذ أن الهدف من الزواج الرغبة في وجود شريك يسكن إليه الزوج ويطمئن إليه على أساس من الحب والتعاطف والتراحم بين الزوجين، إذ أن بدون هذا الحب وهذه المشاعر الايجابية التي توجد بين الزوجين قد تنهار الحياة الزوجية.

3-تحقيق التوافق الاقتصادي ويقصد بذلك أن يعمل الزوج على إشباع وتحقيق مطالب الزوجة في ضوء ما لديه من دخل وعدم تكليف الزوج بأعباء اقتصادية فوق مستوى دخله، لأن زيادة هذه الأعباء قد تدفع بالزوج إلى العمل لفترات طويلة بعيدًا عن المنزل وهروبًا من المسئولية، وقد يترتب على هذا الأمر ما يعرف بالزوج الحاضر الغائب، حيث أنه موجود في الأسرة ولكن تأثيره منعدما فيها، كما ينبغي التحرر من الرغبة في تقليد الآخرين فكل حسب ظروفه.

4-ضرورة التقارب بين الزوجين في القيم والاهتمامات والاتجاهات والعادات وفي المستوى التعليمي والثقافي والمستوى العمري.ويمكن عرض المسببات للمشكلات الزوجية

5-الاختلاف بين الزوجين في البناء النفسي للشخصية:

حيث تتنوع الخلافات الزوجية باختلاف أساليب تربية وتنشئة كل من الزوجين ولا سيما في مرحلة الطفولة، فالخبرات المبكرة في الطفولة لكل من الزوجين تلعب دور هاما في تشكيل شخصية الزوجين ورسم معالم حياتهما الزوجية، فالحياة الزوجية ماهي إلا مسرح يمثل عليه الأزواج ما تعرضوا له من خبرات خلال أيام الطفولة فمن شب منهم على عداء لا شعوري لوالديه فإنه يصب ذلك على شريكه في الزواج**(13)**

7.انعكاسات التعلق على التوافق الزواجي بين الأزواج:

1.7.الإطار النظري لنظرية بولبيBowlby:

تدور نظرية التعلق لبولبيBowlbyحول علاقة الطفل بأمه في ظروف الارتباط بها والانفصال عنها، ويصف بولبي السلوكات المصاحبة لحالة انفصال الطفل عن أمه كسلوك قلق وسلوك باحث، وسلوك غاضب ومتوتر، والذي يتحول فيما بعد إلى لا مبالاة ويأس، ويذهب بولبي إلى أبعد من ذلك فبنظره قد تثار أكثر الاستجابات المرضية

والغاضبة لدى الأطفال أو البالغين الذين لم يجربوا الانفصال أبدًا ولكنهم تعرضوا بشكل دائم أو متكرر للتهديد بالانفصال والهجر، وبرأي العديد من المختصين، فإن حصيلة سلوكات التعلق وخبرات الانفصال والفقدان تمثل قاعدة للعلاقات الوجدانية المرضية للراشد.

أما ويسWeiss فيؤكد أنه يظهر لدى الكبار سلوك تعلق مماثل كالذي عند الأطفال الذين يتعرضون للانفصال المتكرر عن والديهم،وذلك من خلال العلاقات بين الأصدقاء وبين الأزواج وبين الآباء والأبناء الكبار**(14)**

وتعد نظرية بولبي الايثيولوجية Ethological theory الأخلاقية وجهة نظر مقبولة في الوقت الحاضر، إذ أنها أكدت فكرة أنصار مدرسة التحليل النفسي، من حيث أن نوع التعلق مع مقدم الرعاية له تضمينات عميقة ومهمة لشعور الطفل بالأمن وقدرته على تشكيل علاقة مفعمة بالثقة وتمتاز نظرية بولبي عن النظريات الأخرى، بتركيزها على الدور النشط الذي يؤديه الطفل حديث الولادة في نشوء هذه العلاقة، وأكد بولبي أن الطفل عندما يتفاعل مع الآخرين يشكل ما يسمى بالنماذج العامة الداخليةInternal working models وأن هذه النماذج تعمل على استمرارية أنماط التعلق وتحويلها إلى فروق فردية ثابتة، وتعد هذه النماذج أبرز المفاهيم في نظرية بولبي من حيث أنها الحلقة النمائية التاريخية التي تفسر كيفية تأثير ظروف الماضي بظروف الحاضر والمستقبل، ولهذا ظهرت نظرية بولبي كإطار نظري لدراسات العلاقات الإنسانية في مرحلة الرشد**(15)**

2.7.انعكاسات سلوك التعلق على التوافق الزواجي:

لقد تناول علماء النفس وعلماء الاجتماع الأسباب المؤدية إلى التوافق الزواجي ومن ذلك ترى دافيدوف بأنه ثمة خلفيات وسمات معينة ترتبط تكرارًا بالعلاقة الزوجية المستقرة مثل: الوضع الاجتماعي، الوضع الاقتصادي،الأفراد السعداء ومدى نشرهم للطمأنينة والسلام...إلخ**(16)**

علما أن هذه العوامل لا تكفي وحدها للوصول إلى حالة من الاستقرار الزواجي وتجنب الصراع، حيث وجد جيفري وآخرونJeffry et al (1996) أن نمط التعلق الآمن أقل ميلاً للطلاق، في حين نمط القلق يتزوجون بسرعة أكثر من نمط الآمن أو التجنب، لأنهم قد ينظرون إلى الزواج كطريقة لخفض مخاوفهم من الهجر وطمأنة أنفسهم بأنهم محبوبون، في حين يرتبط الأمن بالاتصال البناء خلال الصراعات، في حين يرتبط أللأمن بالتجنب والعدوانية والانسحاب.

وفي دراسة لأونزOwens أن الأفراد الذين كان لديهم نماذج آمنة للعلاقات الرومانسية، لديهم إلتزام أكثر بالعلاقة وصراع أقل مقارنة بمن كانت لديهم نماذج غير آمنة، فالأفراد من النموذج غير الآمن يكونون أكثر غيرة ويميلون إلى إدراك الطرف الآخر أكثر غيرة مقارنة بالنموذج الآمن**(17)**

وفي السياق نفسه بين العديد من الدراسات الدور الذي قد يؤثر به التعلق في مراحل العمر الأولية على العلاقات الزوجية والتوافق الزواجي مستقبلا، وذلك مثل دراسة سكويرينShewerin بعنوان أسلوب التعلق كمنبئ للإشباع والتوافق الزواجي حيث توصل إلى وجود علاقات إيجابية دالة بين تاريخ التعلق الآمن في مراحل الطفولة الأولية ومستوى التوافق الزواجي للفرد مستقبلا.

8.نتائج البحث:

فمن خلال ماسبق عرضه، نتوصل إلى أن ظاهر التعلق تعتبر شكلاً من أشكال مراحل نو الشخصية تؤثرا تأثيرًا واضحًا في التوافق الزواجي والاستقرار الزواجي بشكل عام، ويمكن عرض النتائج وتلخيصها في النقاط الآتية:

1.يرتبط مستوى وأسلوب التعلق مع مظاهر التمزق الأسري وسلوكيات الطفولة وأسلوب تكوين العلاقات الرومانسية

2.يرتبط تاريخ التعلق ومستوى التوافق الزواجي والقدرة على التوافق الزواجي والاهتمام بأصول ومبادئ تكوين الأسرة.

3.يلعب التعلق المتبادل دورًا هامًا في مستوى التوافق النفسي في حياة الكبار والراشدين.

4.تؤثر أنماط التعلق على نشوء أو عدم نشوء الصراع الزواجي كالطلاق وغيرها.

5.أنماط التعلق في مراحل الطفولة لديها أثر في حياة الفرد مستقبلا سواء في مجال الزواج أو في مجالات الحياة المختلفة، مما يشير بأن سلوك التعلق يمكن دراسات في عدة مجالات.

الهوامش:

1. سورة الروم الآية،:21
2. طه عبد العظيم(2004)،**الإرشاد النفسي النظرية التطبيق التكنولوجيا**،: ط1،دار الفكر. عمان، ص: 34-37
3. عبير محمد الصبان:"**التوافق الزواجي في ضوء بعض متغيرات الشخصية**" المؤتمر السنوي الرابع عشر لمركز الإرشاد النفسي: ديسمبر2007، عين شمس، مصر.ص: 7.
4. كلثوم بلمهوب(2006)،**الاستقرار العائلي والزواجي**:ط1،منشورات دار الحبر. ،الجزائر، ص:6.
5. مرجع سابق، ص: 8.
6. رباب بنت رشاد(2009) **أنماط التعلق وعلاقتها بالرضا عن الحياة وأساليب التعامل مع الضغوط النفسية لدى عينة من أزواج في منتصف العمر**: رسالة ماجستير في الإرشاد النفسي، جدة.ص: 14.
7. Elise,Gallen,(2006) **:le lien d'attachement et son evolution : concepets et incidences psychopatologiques**.Memoire ,poure le DDS de psychiatrie ,UNV d'angers ; Fronce.p:3-4
8. نايل رياض العاسمي(2008)،**برامج الإرشاد النفسي**،:ديوان المطبوعات الجامعية. دمشق، ص:234.
9. معاوية أبو غزال وعبد الكريم جرادات(2009)،"**أنماط تعلق الراشدين وعلاقتها بتقدير الذات والشعور بالوحدة**، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، مجلد5،عدد1.ص:50
10. طاطاش سعيدة(2009)،"**الحنين إلى الوطن وعلاقته بدافعية للإنجاز**"،مجلة العلوم الإنسانية جامعة قسنطينة ،المجلد الثاني العدد28.ص:48.
11. مرجع سابق،ص:46.
12. مرجع سابق.
13. مرجع سابق.
14. سهير حسين سليم جودة(2009):**برنامج إرشادي مقترح لتعزيز التوافق الزواجي عن طريق فنيات الحوار**: رسالة ماجستير في علم النفس، غزة.ص:68
15. مرجع سابق،ص،186.
16. مرجع نفسه.
17. مرجع نفسه.